الانحراف والعنف لدى الشباب الجزائري بين التفسير النفسي والإمبريقي

Deviation and violence among Algerian youth between psychological and imperial interpretation

موسى عبد النور	عاشور علوطي
دكتوراه	أستاذ التعليم العالي
جامعة محمد بوضياف المسيلة	جامعة محمد بوضياف المسيلة
nounou.ziamiste@yahoo.fr	alloutiachour@yahoo.fr

ملخص:

رغم ما حققه الإنسان في وقتنا المعاصر من تطور ورقي اجتماعي واقتصادي وثقافي وسياسي وقانوني، غير انه لم يتمكن من التخلص من ظاهرة العنف بصفة عامة لا سيما منه ما تعلق بالعنف في أوساط فئة الشباب، ومنه سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإشارة إلى بعض المعطيات الإمبريقية، عن تنامي ظاهرة الانحراف والعنف والجريمة في المجتمع الجزائري خصوصا لدى فئة الشباب وذلك وفق تفسيرات المنظورات النفسية والإنثربولوجية في المجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: الانحراف، العنف، الجريمة، الشباب.

Abstract:

Despite the development of social, economic, cultural, political and legal paper, human beings have not been able to get rid of the phenomenon of violence in general, particularly those related to violence among young people, from which we will try through this research paper to refer to some imperficing data on the growing phenomenon of deviation, violence and crime in Algerian society, especially among young people, in accordance with the interpretations of psychological and anthropological perspectives in Algerian society.

Keywords: Deviation, violence, crime, youth.

مقدمة:

يمكننا القول أن المجتمع الإنساني السوي لا يمكن تصوره يعيش حالة من الفوضى, تنمو في أحشائه الصراعات المستمرة الدائمة وتسيطر عليه ظواهر العنف والعدوان والتدمير، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام الاستقرار والطمأنينة بين أفراده مما يفقد مبدأ الاستقرار الاجتماعي، هذا الأخير يعتبر جوهر استقرار المجتمع.

لكن إذا عدنا إلى التاريخ نجد أن الانحراف والجريمة والعنف من أقدم السلوكات والممارسات التي عرفها الإنسان تجسدت في أشكال مختلفة وبدرجات متفاوتة في حدتها وأثرها.

وتبرز معظم نظريات علم النفس، أن البحث في مسألة السلوك الإجرامي، لابد أن يكون في ميدان علم النفس الفردي، وفي الجانب الداخلي للشخصية، بعيدا عن المجال الاقتصادي أو ميدان الحياة الاجتماعية أو الجماعية، واعتقادهم أن السلوك الإجرامي محصلة أو نتاج سمات أو خصال شخصية الفرد، والتي توصف بأنها شخصية فريدة، فمثلا نجد أن خصال الشخصية العنيفة غالبا ما تتحكم في تحديد نوع الاستجابة.

وفي هذه الورقة البحثية، سنقوم بعرض معطيات إحصائية ميدانية عن تنامي ظاهرة الانحراف والعنف والجريمة في المجتمع الجزائري، وخصوصا لدى فئة الشباب، وان كانت قد تعددت المقاربات النظرية في تفسير ظاهرة الانحراف والجريمة فسنركز على إعطاء تفسير للظاهرة انطلاقا من النظريات النفسية، مع توظيف المقاربة الأنثروبولوجيا النفسية.

ومنه يمكن طرح السؤال الإشكالي التالي:ما النظرة الاستقرائية لظاهرة العنف في الجزائر؟ وما أهم النظريات النفسية المفسرة للظاهرة؟

أولا: معطيات إحصائية ميدانية عن ظاهرة الإجرام والعنف في المجتمع الجزائري:

فيما يلي بعض الإحصائيات الرسمية التي تبرز انتشار وازدياد تفاقم ظاهرة الجريمة والعنف في المجتمع الجزائري، وقد تم الاعتماد في تحصيل هذه الإحصائيات على مصادر مختلفة، منها الجرائد والصحف اليومية الوطنية ذات مصداقية، إضافة إلى الاعتماد على بعض المصادر البحثية، وأجهزة إحصاء رسمية كالمركز الوطني للدراسات والتحاليل الخاصة بالسكان والتنمية"CENEAP" ، المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي CNES.

ففي تقرير للمجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي CNES، تضمن مجموعة من الإحصائيات حول مدى انتشار ظاهرة الجريمة في المجتمع الجزائري، ففي سنة 2002 تورط 12645 قاصرا في جنح وجرائم مختلفة الخطورة، كالضرب والجرح العمدي، استهلاك المخدرات، السرقة، التعدي على الممتلكات العامة والخاصة، إضافة إلى أعمال إجرامية أخطر كتشكيل جماعة أشرار وهتك العرض،

وكانت نسبة السرقة قد بلغت 40،60% من مجموع الجنح المحصاة، وكان أغلب المنحرفين المتورطين في هذه الأعمال تتراوح سنهم ما بين 16و18 سنة بنسبة 58% من مجموع الموقوفين، وأبرز التقرير أن كل ولايات الوطن معنية بالظاهرة وخاصة المدن الكبرى، وفي التقرير ذاته لوحظ أن نسبة العنف والانحراف في أوساط الشباب في تزايد مستمر فخلال الفترة الممتدة ما بين سنة 1998 إلى نهاية عام 2003 ارتفع عدد الموقوفين بسبب ارتكاب جرائم من8077 الى 12645 أي ارتفاع يساوي 56%. **(جريدة الخبر، 2003،ص ص 12-13)**

وفي إحدى الملتقيات حول ظاهرة العنف والجريمة في المجتمع الجزائري لوحظ أن الظاهرة في تنامي كبير وكانت ولايات الشرق الجزائري قد احتلت الصدارة سنة 2002 في حوادث العنف والجريمة، ولوحظ خلال الفترة الأخيرة بروز مؤشرات تنبئ بازدياد خطورة الأعمال العنيفة، والمتمثلة في السرقة الموصوفة والتي تكون مصحوبة غالبا بأحداث أليمة لدى الضحايا، إضافة إلى حالات الاعتداءات الجسدية، وأبرزت الدراسة أن حوادث وأفعال العنف أكثر انتشارا بين فئة الشباب. **(المعهد الوطني للقضاء، 2003).**

وفيما يلي بعض الإحصاءات التي تبرز تفاقم ظاهرة الجريمة بالمجتمع الجزائري:

الجدول رقم (02): إحصائيات حول أحداث العنف والجريمة بالمجتمع الجزائري خلال سنة 2006 ومطلع 2007.

الحدث	عدد الحالات
الضرب والجرح العمدي	1418
تخريب الممتلكات	4446
العنف ضد الأفراد	2163
القتل العمدي	104
الخطف	31
السرقة	2224

المصدر: الإحصاءات مأخوذة من جريدة الحوار، ع 2775، بتاريخ الأربعاء 11 أفريل 2007.

وفيما يلي إبراز لعدد الأفراد الذين صدرت منهم أحداث عنف، وعنف إجرامي حسب السن:

الجدول رقم (03): تصنيف مرتكبي أحداث العنف الإجرامي – حسب السن- في المجتمع الجزائري خلال سنة 2007.

الفئات	عدد الأفراد
أقل من 18 سنة	640
18 سنة إلى 29 سنة	5884
29 سنة إلى 40 سنة	3921
40 سنة فما فوق	2245

المصدر: جريدة الحوار، ع 2775، بتاريخ الأربعاء 11 أفريل 2007.

وما نلاحظه من خلال هذه الإحصائيات أن فئة الشباب هي الأكثر عنفا وإجراما مقارنة بالفئات الأخرى.

الجدول رقم (04):إحصاءات تبرز أحداث عنف، والعنف الإجرامي حسب النوع:

النوع	عدد الحالات
ذكور	12462
إناث	2880

المصدر: جريدة الحوار، ع 2775، بتاريخ الأربعاء 11 أفريل 2007 .

ما نلاحظه من خلال هذه الإحصاءات أن الذكور أكثر عنفا من الإناث.

وكانت عمليات التشريح التي أجرتها مصلحة الطب الشرعي على مستوى مستشفى البليدة ما بين سنة 1999 والسداسي الأول من سنة 2002 قد أبرزت أن 50% من عمليات التشريح قد بينت نتائجها أن الموت كان عنيفا، وكانت الحوادث موزعة كما يلي: 360 حالة سجلت 54 اعتداء بسلاح ناري، 57 استخدم فيها السلاح الأبيض، وكانت الاعتداءات بالسلاح الأبيض التي أسفرت عن وفاة الضحايا قد ارتفعت ب 20% ما بين سنة 2001 وسنة 2002، وذهب ضحيتها أشخاص تتراوح أعمارهم بين 21 و32 سنة وهذا ما يبرز ازدياد وارتفاع الظاهرة بين فئة الشباب. **(جريدة الخبر، 2003، ص 12)**.

كما نشرت جريدة الشروق اليومي خلال سنة 2007، أنه تم تسجيل 800 اعتداء جنسي منذ بداية السنة حيث أحصت مصالح الدرك الوطني ما يزيد عن 800 قضية تتعلق بالاعتداءات الجنسية لا سيما ضد البنات القصر، وأغلبها في وهران بغرب البلاد، وأوضحت دراسة ميدانية قامت بها خلية

الاتصال التابعة للدرك الوطني أن ظاهرة الاغتصاب قد مست مختلف شرائح المجتمع ومن مختلف المستويات المهنية والاجتماعية.

ونشرت جريدة الخبر بتاريخ الثلاثاء 14أفريل2009 الموافق ل 18 ربيع الثاني 1430ه مناوشات بين شباب من بريان ولاية غرداية ومصالح الأمن بذات الولاية، ... بعد أيام من اتفاق أعيان بريان على التهدئة وعلى ورقة الطريق، عاد العنف مجددا إلى البلدة، هذه المرة عقب احتكاك بين الشرطة وشباب محليين، وأسفرت أحداث العنف عن 15 جريحا، و07 موقوفين وغلق الطريق الوطني رقم واحد.(جريدة الخبر، 2009، ص13).

وفي تقرير أمني صادر عن خلية الاتصال بمصالح الدرك الوطني، أن العائلات الجزائرية تصفي حساباتها بالعنف والإجرام، وسجل التقرير حدوث 1400 اعتداء مسلح، اختطاف وتهديد و1300 موقوف في ظرف ثلاثة أشهر، وأشار التقرير الأمني إلى توقيف 2048 شخصا متورطا في أعنف الجرائم باستخدام وسائل مختلفة منها السم والأسلحة البيضاء والنارية، وإتباع أساليب التهديد وذلك خلال الثلاثي الأول من العام الجاري وعكس التقرير أنواع الإجرام العنيف المنتشر في المجتمع الجزائري التي يتصدرها الضرب والجرح العمدي باستعمال الخناجر، التهديد، الاختطاف وحسب التقرير فان العديد من حالات العنف الممارس قد أدت إلى تسجيل حالات وفاة، إحداث عاهات مستديمة " إعاقة" ، وسجل التقرير كثرة الاعتداءات الجسدية على الأقارب كالأبناء وأبناء الأخ والأخت وأبناء العمومة وتعكس القضايا المعالجة – حسب التقرير- انخراط الشباب من الجنسين باعتبارهم أكبر الموقوفين وتتراوح أعمارهم بيت 18 و30 سنة. **(جريدة الشروق، 2009، ص 12)**.

وفي إطار العنف الأسري, أو العنف داخل المنزل قام المركز الوطني للدراسات والتحاليل الخاصة بالسكان والتنمية"CENEAP" بالجزائر بدراسة حول ظاهرة العنف المنزلي – أجريت الدراسة بالجزائر- وقد شملت تسع ولايات، وبلغت العينة 445 مستجوبا ومستجوبة وكان من أبرز نتائج هذه الدراسة:**(طاهر، 2003، ص 54)**

- 70% من النساء المستجوبات اللواتي تعرضن للعنف عمرهن يتراوح بين 20 و29 سنة.
- 75% من اللواتي تعرضن للعنف مستواهم التعليمي ابتدائي ومتوسط.
- 37% من اللواتي تعرضن للعنف مطلقات وأرامل.
- 52% من اللواتي تعرضن للعنف ربات بيوت.
- 74% من اللواتي تعرضن للعنف لا يرفعن شكاوي للسلطات المعنية.

أما فيما يتعلق بالعنف والسلوكات الإجرامية في الملاعب" الرياضة "(جريدة الخبر، 2009، ص 16). فلوحظ أن الظاهرة في ازدياد مستمر سواء من حيث الانتشار، أو ارتفاع درجة حدتها، فهناك العديد من الشبان الذين تورطوا في أحداث وحشية مجانية لم تكن لهم فكرة في الصباح عما قاموا به عند خروجهم من الملاعب، إنها ببساطة رمز للانتقام من شباب يبحث عن وسيلة يلفت بها الانتباه نحو قضاياه، وفيما يلي نتائج سبر آراء أجري حول العنف في الملاعب بالجزائر:

اعتمدت عينة سبر الآراء على عينة عشوائية ضمت1340 من الشباب تتراوح أعمارهم ما بين 15و39 سنة، وكانت عملية سبر الآراء قد شملت 16 ولاية من ولايات القطر الجزائري، س(06)تة ولايات من الغرب الجزائري" تلمسان، سيدي بلعباس، عين تموشنت، وهران، معسكر، ومستغانم"، وخمس ولايات من منطقة الوسط:" الجزائر العاصمة، تيبازة، البليدة، بومرداس، تيزي وزو" وخمس ولايات من الشرق الجزائري:" بجاية، سطيف، ميلة، قسنطينة، سكيكدة."

وكانت نتائج عملية سبر الآراء قد بينت أن العنف في ملاعب كرة القدم في الجزائر تقف وراءه مجموعة من الأسباب تتقاطع فيما بينها لتسهم في تأجيج واستفحال الظاهرة، ويظل الغش والرشوة المستشرية على مستوى الأندية والفرق والتحكيم السيئ، أهم العوامل المباشرة لبروز ظاهرة العنف لدى قرابة نصف المستجوبين، تليها عوامل أخرى اجتماعية في الأساس مثل البطالة وغياب أفق واضح لدى فئة الشباب.

أما فيما يتعلق بانتشار ظاهرة العنف بالمؤسسات التربوية، فان حيز الظاهرة في اتساع، فأغلب المؤسسات التربوية- خاصة الثانويات- تشهد من حين إلى آخر العديد من أشكال عنف، يوجهها التلاميذ تجاه بعضهم البعض، وتكون أحيانا موجهة تجاه موظفي الإدارة، وتتعداها أحيانا أخرى تجاه الأساتذة.

أما العنف العائلي... مصدر أساسي لظاهرة أطفال الشوارع، **(جريدة الخبر، 2006، ص 13)** وفقا لتصريح صحفي أدلت به لجريدة "الخبر" (5 أوت 2006)، السيدة خيرة مسعودان، رئيسة المكتب الوطني لحماية الطفولة وجنوح الأحداث لدى المديرية العامة للأمن الوطني، حول ظاهرة العنف ضد الأطفال في الجزائر، بلغ عدد الأطفال والمراهقين الجزائريين الذين كانوا عرضة للعنف بمختلف أنواعه، سنة 2005، 5091 طفلا، أغلبيتهم كانوا ذكورا. كما بينت أن 1472 طفلا كانوا ضحايا للعنف الجنسي، مثلت الفتيات أغلبيتهن.

وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر قد صادقت على اتفاقية حقوق الطفل، وعلى الاتفاقية رقم 182 لمنظمة العمل الدولية، حول أسوأ أشكال العمل، وعلى البروتوكول المتعلق بحقوق الطفل للميثاق الإفريقي لحقوق الإنسان والشعوب.

وحول ظاهرة العنف عموما، كشفت دراسة لصندوق الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف) أن حوالي 275 مليون طفل عبر العالم معرضون حاليا للعنف العائلي وأن غالبية هؤلاء الأطفال مؤهلون لتعاطي المخدرات والكحول.

كما أشارت الدراسة إلى أن الأطفال الذين يعيشون في جو العنف العائلي (الذي غالبا ما يمارس ضد النساء) معرضون بدورهم لاضطراب وتقلص في النمو العقلي والعاطفي في مرحلة البلوغ والمراهقة، مما يخلف تراجعا على مستوى النتائج الدراسية، وصعوبة الانسجام في المجتمع، وشعور بالإحباط، والقلق ونزعة لتعاطي المخدرات والكحول...

كما أكدت دراسة أجراها **المركز الوطني للدراسات والبحوث المتعلقة بالسكان والتنمية**، تمحورت حول العنف المنزلي وآثاره، أن الأطفال هم الأكثر عرضة لممارسات العنف وخاصة منه الجسدي وبينت الدراسة أن 42،75 % من الذكور و31،76 % من الإناث قد تعرضوا لعنف جسدي، وأن25،1 % من فئة الإناث و20،53% من الذكور قد تعرضوا للطرد من المنزل، وأن 27،03 % من الإناث و30،5 % من الذكور قد تعرضوا لمعاملة سيئة **(متوفر على الموقع: http://www.unicef.org ، بتاريخ:2019/03/30).**

وفي تقرير صادر عن قيادة الدرك الوطني، حول ظاهرة العنف في المجتمع الجزائري تبين أن السب والشتم يشكلان 40% من جرائم القانون العام تورط فيها أكثر من 76572 شخصا، رغم تسجيل تراجع بأزيد من 9% سنة 2008 مقارنة بسنة 2007 في قضايا الإجرام العام، إلا أن عدد المتورطين فيها لا يزال مرتفعا بشكل واضح نظرا للعدد الكبير من المعتدين حيث ناهزوا 27567 متورطين مسجلين زيادة بـ 15% مقارنة مع 2007 حيث قدر عدد المتورطين فيما يخص جرائم القانون العام 22164، فبالنسبة للاعتداءات ضد الأشخاص والتي شكلت 40% من جرائم القانون العام يساوي 8156 قضية تضمنت السب والشتم بشتى أنواعه، فقد تورط فيها 12124 شخصا وتم إيداع أزيد من ثلثهم السجون، وتجدر الإشارة إلى أن 53% من هذا النوع من الاعتداء كان من نصيب قضايا السب والشتم المرفوق بالجرح والضرب العمدي (منشور على صفحات). **(جريدة الخبر الأسبوعي، 2009، ص15).**

ثانيا: النظريات النفسية وتفسير السلوك الإجرامي :

1-1 - مدرسة التحليل النفسي: من بين علماء النفس الذين أسسوا، وأرسوا فيما بعد لوجهة النظر السالفة الذكر، التي تدعو إلى لبحث مسألة الانحراف والعنف في ميدان علم النفس الفردي، وفي الجانب الداخلي للشخصية، "**سغموند فرويد**" الذي يقول: أن الإنسان ليس قطعا ذلك الكائن الطيب، والذي يقال عنه أنه يدافع عن نفسه عندما يهاجم، بل هو على العكس من ذلك كائن يتحتم

عليه أن يضع في حساب معطياته الغريزية نصيبا كبيرا من العدوانية كإحدى تجليات الممارسة العنيفة".

يمكننا تلخيص آراء " فرويد" في قوله بوجود قطبين غريزيتين هما "eros"و"thanatos" أي غريزتي الحياة والموت، أو الليبيدو والعدوان، وتمثل غرائز الحياة والموت القوى التي تكمن وراء غرائز الجنس والعدوان.

وبالنسبة لغريزة الحياة أو "eros" فإنها تمثل الدوافع لدى الإنسان والتي تعمل على الربط والمحافظة والبناء والوحدة، وهي تشير إلى ميل الجزئيات إلى إعادة التوحد، والأجزاء كي ترتبط ببعضها البعض، وتعود إلى حالة سابقة من الاتحاد، كما يحدث في حالة التناسل الجنسي، وغريزة الحياة هذه تعمل على تعادل الغرائز الهدامة التي تقوم معها جنبا إلى جنب. **(اسماعيل، 1988، ص 46).**

ويرى فرويد أنه من الصعب جدا دراسة غريزة الموت إذ طالما أنها تعمل داخليا فإنها تظل صامتة وندركها فقط عندما تنحرف إلى الخارج كغريزة للتخريب، ويقول فرويد أن هناك نوعا من الانتشار بين غريزتي الموت والشهوة، فالعدوان الموجه إلى الخارج ينمو جنبا إلى جنب مع ممارسة الإشباع الليبيدي أو الشهوي.

وحسب هذا الرأي يمكننا القول أن ممارسة الانحراف أو الإجرام، أو الفعل العنيف عند الإنسان ليس أمرا عارضا، بل هو مقوم اثنولوجي في الكائن البشري، فغريزة الليبيدو حسب فرويد هي أكبر الغرائز، وهي طاقة حيوية تدفع الفرد للحياة والعمل والتمتع " ويثير فرويد انتباهنا إلى أنه من الخطأ، بل من العبث مقاومة العدوانية بطريقة مباشرة، إلا أننا نستطيع أن نبدل من أهدافها وأشكالها بصورة ايجابية فنسخرها للحياة، بدلا من الدمار ويبرز فرويد زمن تشكل هذه القوة العدوانية، والأوقات أو المواقف التي تخرج أو تصدر فيها هذه القوة العنيفة فيرى فرويد أن الميولات العدوانية تبدأ في الظهور في مرحلة الطفولة المتأخرة، عند بروز عقدة أوديب، ويجمع علماء التحليل النفسي على أن عقدة أوديب من العوامل الهامة التي تؤدي إلى نمو وتطور الميلات العدوانية عند الطفل. **(عبد الغاني، 1983، ص19).**

ويتفق فرويد مع علماء البيولوجيا، على أن السلوك الإجرامي أو العدواني غريزة في الإنسان، حيث يقول أن العدوان نموذج هيدروليكي، بمعنى أنها تفترض أن الطاقة العدائية تشبه سائلا تحت ضغط في حاجة لأن يفرغ أو يحرر، وتحرير الطاقة، يفترض حدوثه على هيئة عدوانية مباشرة أو غير مباشرة.(بلاس وأخرون، 1999، ص24).

ويرى فرويد أن القوة التدميرية الغريزية إذا لم توجه إلى الخارج، فإنها تتوجه إلى داخل الفرد، فيعمل على إيذاء نفسه، فالسلوك العدواني يهدف إلى إشباع دافع فطري غريزي قائم بذاته وينشأ به في ذلك البشر جميعا وأن جزءا من هذه الغريزة يحول تجاه العالم الخارجي، ويأتي إلى الضوء كنزعة تدمير، ونزعة العدوان إذا ظلت مكبوحة فان هذا يحدث تدميرا للذات ما لم توجه من خلال عمليتي النقل والتسامي.**(الفنجري، 1995، ص222).**

ويرى البعض من الدارسين أن الانحراف والجريمة عند فرويد ينطبق على الشعوب والأمم بنفس الدرجة التي تنطبق على الأفراد ويؤكد أنه توجد في كل شعب غرائز كابحة ذات طابع تخريبي ذاتي إلى جانب الغرائز الحيوية المتقدمة.**(Ginsborg ، 1948، ص 128).**

إن آراء فرويد حول أصل وطبيعة العدوان هي أراء ذات نزعة تشاؤمية، حيث يرى أن العدوان هو سلوك غريزي يرجع إلى غريزة الموت، وأن الوظيفة الأساسية لها هي التدمير والعودة بالفرد إلى حالة من اللاحياة ومن جهة أخرى يقر أن العدوان أمر لا مفر منه فإذا لم تتجه غريزة الموت خارجيا نحو الآخرين فانه سرعان ما يتجه داخليا نحو الفرد، فيعمل على إيذاء نفسه.

لم يقتصر علماء التحليل النفسي- فيما بعد- على ربط السلوك الإجرامي العنيف، أو العدواني بعقدة أوديب، وإنما أبرزوا أن هناك عوامل أخرى مختلفة ومتنوعة، منها التنشئة الاجتماعية، وتأثير البيئة ...وبالتالي فرغبة الطفل في استخدام العدوان، كوسيلة للدفاع ضد قلقه وعدم اطمئنانه، فالإحباط يثير الشعور بالعدوان ولكن الطفل يعرف أن التعبير عن هذا العدوان سيقابل بعدوان مضاد له، وهنا يرى أن خير وسيلة لضبط الخوف والقلق من العدوان المتوقع هي البدء بالعدوان. **(المغربي، د س، ص107).**

1-2- نظرية علم النفس الفردي: انبثقت النظريات في مجال علم النفس الفردي، من الاهتمامات والأعمال العلمية، التي قام بها الأطباء وأطباء الأمراض العقلية، وكذا علماء النفس والمتخصصين في الدراسات الاجتماعية.

إن الانتهاك الذي يمارسه الآباء ضد أبنائهم مرده أساسا إلى عدم النضج، والنرجسية والتهور، والحالة السائدة، وكل هذه الحالات الشخصية يظهرونها، وذلك من جراء معاناتهم من المرض العقلي، وتبقى الحالات التي شخصها الأطباء لا يمكن أن ندرجها في نسق الخلل العقلي والاضطراب النفسي، والعصبي، كما أن منتهكي الأطفال، والحالات العصبية المرضية التي يعانون منها كانت متنوعة ومختلفة يستحيل معها تعميم تشخيص واحد على كل الحالات.**(السمري، مرجع سابق، ص63)**

3-1- نظريات الإحباط:

بنيت النظرية النفسية عند بعض الأخصائيين على افتراض مفاده: أن الإحباط يؤدي إلى الانحراف، وصيغة هذه الفرضية على جزئين:

- الانحراف يعد دائما نتاجا للإحباط.
- أن حدوث السلوك الإجرامي، يفترض أن تسبقه مواقف إحباطية.

وسوف أعرض ثلاثة فروع لهذه النظرية وهي كالتالي:

أ- نظرية دولارد" Dollard ":

كان دولارد Dollard قد صاغ المبدأ الخاص بالإحباط والعدوان من كتابات Freud وطبقها على أحد مجتمعات الولايات المتحدة الأمريكية، وقام بتحليل استجابة طبقة الملونين للإحباط الذي تفرضه الجماعة البيضاء، وبهذا أمكنه الكشف عن التأثيرات النفسية للتركيب الاجتماعي على تنظيم الشخصية والسلوك، وقد افترض هو وزملاؤه بأن العدوان هو نتاج للإحباط، وأن حدوث السلوك العدواني يفترض دائما وجود حالة من الإحباط، وبالمثل فان قيام الإحباط يؤدي دائما إلى صورة أخرى من العدوان.

فهم يرون أن السلوك العدواني بصوره المعروفة يمكن إرجاعه إلى الإحباط، ويشير دولارد إلى أن حدة أو درجة الحقن للسلوك العدواني أي شدة الدوافع العدوانية تتباين بشكل مباشر مع درجة الإحباط، وهناك ثلاثة عوامل حاسمة في هذا الصدد وهي:

- القيمة التدعيمية : أي أهمية الهدف الذي تم إحباطه.
- درجة التدخل بالاستجابة المحبطة.
- عدد الاستجابات المحبطة والمتتالية: أي التي حدثت من قبل، فكلما زادت أهمية الهدف الذي أحبط كلما زادت درجة إعاقة الاستجابة، كلما زاد عدد الاستجابات المعاقة، كلما زادت درجة الميل للسلوك العدواني. **(اسماعيل، 1988، ص56).**

غير أن هذه النظرية قد وجهت لها عدة انتقادات، من خلال العديد من البحوث التي أجريت حول موضوع : الإحباط/ العدوان، ومن بين هذه الانتقادات:

- جعلت من الإحباط السبب الرئيسي في حدوث العدوان والعنف، وتناست عوامل أخرى، يمكن أن تساهم إلى جانب الإحباط- في حدوث العنف والعدوان.
- قد يصدر من الفرد عنف أو عدوان، من جراء التعلم والتدرب، وينساق الفرد إلى العنف ليس رغبة في إلحاق الضرر بالضحية، ولكن من أجل مكاسب نفعية مادية.

ب- نظرية بيركوفيتش:

من جراء جملة الانتقادات التي وجهت إلى نظرية دولارد، قام بيركوفيتش سنة 1962، بإجراء تعديلات على هذه النظري .**(مكتب الإنماء الاجتماعي، 2000، ص ص 45-47)**، فمن بين ما اضافه :

- أن الفرد يكتسب غالبا عادات عدوانية أو عنيفة في مسار حياته، وهذا الفرد قد لا يكون يعاني الإحباط، ولكن بمجرد أن تستثار فيه العادات العدوانية يصدر منه سلوك عنيف أو عدواني. فقد بينت تجارب باندورا Bandura، و والتر Walter أن الأشخاص يمكن أن يكتسبوا عادات سلوكية/ عدوانية أو عنيفة من مجرد ملاحظة ومشاهدة نماذج من السلوك العنيف.

- الإحباط قد لا يترتب عليه عدوان بالضرورة، ولكن قد يخلق استعدادا للسلوك العدواني، دون تنفيذ الفرد لهذا العدوان.

ومن ثمة فقد حدد بركوفيتش ست استجابات مختلفة للإحباط نذكر منها:

- البحث عن بدائل للهدف المحدد من قبل الفرد بطريقة هادفة وبناءة .
- العودة إلى هدف ما آخر كان يفضله الفرد في مرحلة مبكرة من النمو.
- استخدام أساليب غير ناضجة لحماية الهدف المحبط.
- إنكار ومهاجمة العائق المتسبب في عملية الإحباط.
- الاضطراب السلوكي العام الناتج عن القلق والمنبعث بواسطة الإحباط.
- استخدام وسيلة متكررة وغير فعالة.

إن إحساس الأفراد بأن السلطة لا توليهم الاهتمام تجاه آمالهم وطموحاتهم واحتياجاتهم المشروعة، يمهد الطريق لممارسة الإجرام نتيجة هذا الحرمان، ومن هنا يبدو أن هناك فرق بسيط بين الإحباط والحرمان، فليس كل إحباط وليد حرمان، ولكن الحرمان قد يؤدي إلى الإحباط سواء كان حرمانا ماديا أو معنويا، وبالتالي فلا يمكننا أن نقول أن الإحباط هو السبب الوحيد والأساسي لتوليد سلوك العنف.

ج- نظرية كبش الفداء:

ومحتوى هذه النظرية ومفادها أن كبش الفداء بمثابة هدف بديل يوجه إليه الأشخاص سلوكهم العدواني والعنيف، دون توقع تلقى أي شكل من أشكال العقاب من قبل الوالدين أو القائمين مكانهم، والذين يتولون دور التنشئة الاجتماعية، وغالبا ما يكون كبش الفداء عضوا في إحدى جماعات الأقليات داخل المجتمع، وبالتالي فجماعات الأقلية منظور إليها على أنها هدف بديل مناسب لإزاحة العنف والعدوان وبالتالي فهي كبش فداء للاحباطات التي تعاني منها الأغلبية داخل المجتمع نفسه.**(عبد الله، 1997، ص 152)**.

كذلك من بين الانتقادات التي وجهت إلى هذه النظرية، أن ردود الفعل الاجتماعية لسلوك يتسم بالعنف والعدوانية تتم بشكل ميكانيكي، فهناك عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية ونفسية تساهم في تحديد حجم وشكل وكيفية وزمن حدوث رد الفعل عند الطرف المقهور اجتماعيا، لذا فان قانون الفعل ورد الفعل وحده غير كاف لتفسير ظاهرة الإجرام، ودائما يضاف إليه قانون التراكم الذي بفضله يمكن تفسير الظاهرة.(عبد الوهاب، 1994، ص16).

كذلك من بين الانتقادات التي وجهت إلى نظرية الإحباط – في تفسيرها للانحراف- أن هناك من ميز بين العنف في الفترات الزمنية السابقة عنه في وقتنا الراهن، فيقول ولسون:" إنما أقصد أننا لكي نفهم، يجب أن نأخذ في الاعتبار نفسية إنسان القرن العشرين. **(Boutonnier ، 1985، ص29).**

وهذه ملاحظة جديرة بالاهتمام، فإذا كان العنف في الزمن الماضي ناتج في ظروف البؤس، وحياة الناس التي كان يميزها التمايز الطبقي الصارخ، فحال الإنسان في وقتنا الراهن تختلف ولو نسبيا عن ما مضى فالوقت الراهن يختلف عن العصور الماضية، بالوفرة في الجانب الاقتصادي والديمقراطية، والحرية في الحياة السياسية والشخصية، دون أن ندعي أن هذا حل المشكلة نهائيا، فالوفرة، والحرية، والديمقراطية، كلها مجملة لم تعوض الاستقرار الداخلي للإنسان في وقتنا المعاصر، مما يؤدي أحيانا إلى انتهاج السلوك الإنحرافي.

1-4- أنماط التفكير الإجرامي:

انطلاقا من التجارب التي قام بها يوشيلسون Yochelson و ساماينوف Samenov توصلا إلى أن الأفراد الذين يقومون بسلوك إجرامي، يتميزون بطريقة تفكير خاصة، يختلفون بها عن باقي أفراد المجتمع فالشخص الذي ينتهك القانون يتمتع ببناء معرفي خاص يرى نفسه والعالم المحيط به، بطريقة صائبة حسب تفكيره غير أنها مرفوضة من قبل القيم والمعايير التي يحملها باقي أفراد المجتمع.**(شحاتة وأخرون، 2004، ص116).**

ومن خلال التجارب التي قام بها الباحثان، أقرا أن الفرد إذا صنف مجموعة من الاختيارات في الوقت المبكر من عمره، ستصبح اعتقادا عنده فيما بعد، وقد تكون هذه الاختيارات هي سبب ممارسة العنف وارتكاب الإجرام، والتي تكون غالبا مقرونة بعدم استشعار المسؤولية والإهمال من قبل الفرد وكذا اللامبالاة وأكد الباحثان أن المجرمين الذين أخضعوهم للتجربة، لهم القدرة على التحكم في أفعالهم، ولكنهم ضحايا البيئة الاجتماعية وبالتالي فهم يحملون مسؤولية سلوكاتهم السلبية إلى الآخرين أو إلى المجتمع.

1-5- نظرية اضطراب الشخصية:" نظرية الاستهداف للعنف":

ذهب بعض العلماء إلى تفسير السلوك الإجرامي على أنه أحد صور الاضطراب في شخصية الفرد الممارس لهذه السلوكيات، فالخارجين على القانون لهم طبيعة مضادة للمجتمع، وظل هذا التفسير معتمدا مدة زمنية طويلة.

تقوم نظرية الاستهداف للانحراف على فكرة أساسية، وهي عملية تكوين شخصية الفرد، فبعض الأفراد داخل المجتمع ساديون في تصرفاتهم، فهم ينظرون لغيرهم من الأفراد الآخرين على أنهم مجرد آلات أو هم عبارة عن دمى لا إحساس لها، ولا شعور لهؤلاء الأفراد، ولابد أن يكونوا مسخرين لخدمة هؤلاء الأشخاص الساديين.

وهم في الوقت ذاته أنانيون- أي الأشخاص الساديون- ينظرون للحياة من خلال الدوران حول مركزهم أنفسهم، ولا شيء يدعو للقلق – حسب هؤلاء- إن لم يسعد باقي أفراد المجتمع، أو يفرحوا، والصنف الآخر من الأفراد هم أولئك الذين يشعرون بالقابلية للإهانة من قبل الآخرين، وغالباً ما يشعرون بأنهم غير آمنين ومحصنين، فهم عرضة لأي هجوم، ويشعرون دوماً بأنهم معرضين للهجوم، والكل يتآمر عليهم، وكما يقول الباحثون أن هذا الصنف من الأفراد شديد الحساسية من النقد، ولديه قدر من البارانوايا أي جنون الاضطهاد فالمجتمع في نظرهم يتآمر عليهم، ويبخسهم حقوقهم. **(العيسوي، د س، ص73).**

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول أن هذين الصنفين من الأفراد لا يحيون حياة طبيعية، وإنما هم في حالة مرضية، فأنفسهم مليئة بالشعور بالقنوط من المجتمع، يصاحبهم اليأس والضجر، ولذلك فسلوكاتهم غالباً ما تكون عنيفة واندفاعية تجاه الآخرين، ولا يثقون بالمجتمع وأفراده، وتبدو لهم سلوكاتهم العنيفة هذه على أنها مشروعة، فهي من أجل الدفاع عن النفس، ذلك أنهم يشعرون أن العالم الذي يعيشون فيه محكوم بقانون القوة فبامتلاك القوة – حسبهم- تضمن البقاء والسيطرة على الآخرين، فالميزان القياسي في الحياة هو أن تعيش وتحتل مكانتك بقدر ما تمتلكه من قوة.

الخاتمة

إضافة إلى التفسيرات التي قدمتها النظريات النفسية حول ظاهرة الانحراف والجريمة فنجد أنه قد أدخلت بعض المتغيرات الأخرى لتفسير صراع الأشخاص مع المجتمع، ومن بين هذه المتغيرات نذكر: ضعف الضمير، سوء عملية التنشئة الاجتماعية، عدم إدراك حقيقة الانتماء للمجتمع وبالتالي ضعف الولاء للجماعة وهذا يعني أنهم أنانيون، وقساة، يميلون للوم المجتمع، ومحاولة تقديم تبريرات معقولة ظاهريا لسلوكهم، وكل هذه الخصال تجعلهم أقرب إلى التكبر والغطرسة، وأبرزت العديد من الأبحاث والدراسات أن أصحاب الشخصية المضادة للمجتمع، أو السيكوباتية من الرجال الذين يسهل تحديدهم بصورة نسبية، ولكن يصعب تأهيلهم ولحسن الحظ فان السيكوباتيين يمثلون نسبة صغيرة جدا من منتهكي القانون، ومع ذلك فهم يرتكبون نسبة كبيرة من الجرائم، والتي تميل أفعالهم خلالها إلى أن تكون مكثفة.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

حسن عبد الفتاح الفنجري، (1995)، بعض المتغيرات البيئية وعلاقتها بالسلوك العدواني لدى الطفل، مجلة بحوث القاهرة.

سميحة نصر عبد الغاني، (1983)، الشخصية العدوانية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

سعد المغربي: انحراف الصغار، دار المعارف، القاهرة "د.ت".

المعهد الوطني للقضاء، (2003)، يوم دراسي حول الطب القضائي، الجزائر.

السيد حسين طاهر، (2003)، تمحيص في إشكالية العنف المنزلي, المركز الوطني للدراسات والتحاليل الخاصة بالسكان والتنمية CENEAP, الجزائر.

عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية الجريمة والانحراف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، "د.ت"

عزت إسماعيل، (1988)، سيكولوجيا الإرهاب وجرائم العنف، منشورات السلاسل، الكويت.

توماس بلاس وآخرون، (1999)، العنف والإنسان، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

عدلي السمري، (2002)، الاتجاهات النظرية والمنهجية الحديثة في العنف الاجتماعي، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر.

ليلى عبد الوهاب، (1994)، العنف الأسري، دار المدى للثقافة والنشر، بيروت.

مكتب الإنماء الاجتماعي، (2000)، سلسلة تشخيص الاضطرابات النفسية،مج2،منشورات الديوان الأميري، الكويت.

معتز عبد الله، (1997)، التعصب: دراسة نفسية اجتماعية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

محمد شحاته وآخرون، (2004)، علم النفس الجنائي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

المراجع باللغة الفرنسية

- Jean Boutonnier,(1985), l'angoisse, ed: P.U.F, Paris.

- Michel ginsborg: les conceptions sociologique de freud, cahiers internationaux de sociologie, vol 7.

الجرائد:

- جريدة الخبر، السبت 26 أفريل 2003، ص12.

- جريدة الشروق اليومي بتاريخ الثلاثاء 21أفريل 2009 ، العدد 2590.

- جريدة الخبر: الشباب وظاهرة الانحراف، الكناس يدق ناقوس الخطر، تاريخ 10 ماي 2003،ص12،ص13.

المواقع الالكترونية:

http://www.unicef.org. بتاريخ:2019/03/30 على الساعة 22:10.